ساعة وساعة

٣

# لقد شهدت عليك الحجلة ياهذا

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

# الطبعة الأولى

**جميع الحقوق محفوظة**

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

# في إِحْدَى السَّهَراتِ الجَمِيْلَةِ

اتَّفَقَ أَفْرَادُ عَائِلَةِ (أَبِيْ حَسَنٍ) عَلَى زِيَارَةِ جَدَّتِهِمْ (أُمِّ جَمِيْلٍ) ، وَذَلِكَ فِيْ بَيْتِ عَمِّهِمْ (أَبِيْ حُسَيْنٍ).

وَفِي بِدَايَةِ السَّهْرَةِ رَكِبُوا في السَّيَّارَةِ ، وَانْطَلَقُوا إلى هُنَاكَ ، وَأَثْنَاءَ الطَّرِيْقِ رَاحَتِ الوَالِدَةُ تَتَحَدَّثُ عَنْ ذِكْرَيَاتِهَا مَعَ الجَدَّةِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ في صِبَاهَا ، وَكَيْفَ كَانَتْ تُسَاعِدُ النِّسَاءَ... وَخَاصَّةً الحَوَامِلَ ، وَالأَرَامِلَ و... ثُمَّ خَتَمَتْ ذَلِكَ بِقَوْلِهَا: مِنْ هُنَا نَفْهَمُ السِّرَّ وَرَاءَ الاهْتِمام الكَبِيْرِ مِنَ الأَوْلادِ ،



obeikandl.com

وَالأَحْفَادِ ، وَالجِيْرَانِ و... بِجَدَّتِكُمْ يَا أَوْلادُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ الله تَعَالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾(١).

قَالَ (مُمْتَازٌ): آهٍ! كَمْ أَنَا بِشَوْقٍ لِجَدَّتِيْ ، وَحِكَايَاتِهَا... وَكَمْ أَتَمَنَّى لَوْ أَبْقَى مَعَهَا سَنَواتٍ ، وَسَنَواتٍ؟!

قَالَتْ (مَيْسُونُ): وَأَنَا لَمْ أَعْرِفْ حَتَّى الآنَ المَصَادِرَ ، وَالمَرَاجِعَ الَّتِي أَخَذَتْ جَدَّتِيْ مِنْهَا تِلْكَ الحِكَايَاتِ الرَّائِعَةَ؟!

وَضَحِكَ الجَمِيْعُ ، ثُمَّ قَالَ(أَبُو الحَسَنِ): لَكِنْ يَا مَيْسُونُ جَدَّتُكِ أُمِّيَّةٌ ، لا تَقْرَأُ وَلا تَكْتُبُ! وَلَكِنْ تَعَلَّمَتْ ذَلِكَ مِنْ تَجَارِبِ الحَيَاةِ ، وَمِنَ الاخْتِلاطِ مَعَ النَّاسِ...

---

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

... وَكَمْ كَانَتِ الفَرحَةُ عَامِرَةً عِنْدَمَا الْتَأَمَ الشَّمْـــلُ ، وَالْتَقَـــى الأَحِبَّـــةُ... دُمُـــوْعٌ... وَمُصَافَحَاتٌ... وَقُبُلاتٌ... وَعِتَابٌ و... وَالَّذِيْ قَطَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ صَوْتُ (مُمْتَازٍ) وَهُوَ يَرْجُو جَدَّتَهُ أَنْ تَحْكِيَ لَهُ حِكَايَةً مِنْ حِكَايَاتِهَا الجَمِيْلَةِ ...!

## إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ... وَلا يُهْمِلُ !!

ابْتَسَمَتِ الجَدَّةُ ، وَأَجْلَسَتْ (مُمْتازاً) في حِضْنِهَا وَقَالَتْ: سَأَحْكِيْ لَكَ حِكَايَةً وَاقِعِيَّةً ، حَدَثَتْ في المَاضِيْ ، وَفِيْهَا الدَّلالَةُ الوَاضِحَةُ علـــى أَنَّ الحَـــقَّ لا يضيـــعُ أَبَـــدَاً ، وَأَنَّ الله سُبْحَانَهُ يُعْطي الإِنْسَانَ الفُرْصَةَ لِيُعِيْدَ الحُقُـوْقَ إلـى أَصْحَـابِهَـا ، لَكِنَّـهُ سُبْحَـانَـهُ لا يَتْرُكُ ذَلِكَ ، وَلا يُهْمِلُهُ أَبَدَاً:

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيْمِ الزَّمَانِ ـ وَمَكَثَتِ الجَدَّةُ قَلِيْلاً ـ ثُمَّ قَالَتْ: لا أَحْكِي الحِكَايَةَ.. إلا بَعْدَ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكُمْ يَا أَحْبَابُ الصَّلاةَ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ ـ وَقَالَ الجَمِيْعُ بِصَوْتٍ عَالٍ: الصَّلاةُ والسَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله!

كَانَ أَحَدُ الأَفْرادِ جَالِساً إلى مَائِدَةِ الطَّعَامِ مَعَ عَدَدٍ كَبِيْرٍ مَنْ رُؤَسَاء ، وَوُجَهَاءِ إِمَارَتِهِ.

وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلاَءِ تَاجِرٌ عَمِلَ فِي المَاضِي لِصَّاً ، وَقَاطِعَ طُرُقٍ.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ طَلَبَ اللِّصُّ من الأَمِيْرِ أَنْ يُسَامِحَهُ عَلى أَفْعَالِهِ الشِّرِّيْرَةِ المَاضِيَةِ.

فَسَامَحَهُ الأمِيْرُ ، وَقَرَّبَهُ مِنْهُ ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَبَيْنَمـــا كَـــانَ الجَمِيْـــعُ يَـــأْكُلُـــونَ ، وَيَتَحدَّثُونَ؛ إِذْ جَاءَ الخَدَمُ بِأَفْخَرِ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ ، وَلَمَّا أَذِنَ الأَمِيْرُ بالمُبَاشَرَةِ؛ رُفِعَ الغِطَاءُ فَإِذَا هِيَ الحَجَلُ المَشْوِيُّ.

تَنَاوَلَ الأَمِيْرُ حَجَلَةً ، وَقَدَّمَهَا للتَّاجِرِ ، فَـأَخَـذَهَـا التَّـاجِـرُ مِنْـهُ ، وَجَعَـلَ يَضْحَـكُ وَيُقَهْقِهُ!! وَتَعَجَّبَ الحَاضِرُون مِنْ تَصَرُّفَاتِ التَّاجِرِ ، ثُمَّ نَظَرَ الأميْرُ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ: لِمَاذَا هَذِهِ الضَّحِكَاتُ يَاْ أَيُّهَا التَّاجِرُ؟!

قَـالَ التَّـاجِـرُ: يَـا سَيِّـدِي الأَمِيْـرُ! لَقَـدْ ذَكَّرَتْنِيْ هَذِهِ الحَجَلَةُ بِشَيْءٍ أَضْحَكَنِي.

قَالَ الأَمِيْرُ: هَاتِ حَدِّثْنَا عَنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ!

اعْتَدَلَ التَّاجِرُ... ثُمَّ قَالَ: لَمَّا كُنْتُ قَاطِعَ طَرِيْقٍ؛ كُنْتُ مَارَّاً في طَرِيقٍ مُقْفِرٍ بَيْنَ

الجِبَالِ ، فَشَاهَدْتُ رَجُلاً وَحِيْداً ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، وَسَلَبْتُهُ جَمِيْعَ مَا يَمْلِكُهُ ، ثُمَّ جَرَّدتُهُ مَنْ مَلابِسِهِ ، وَتَرَكْتُهُ يَنْصَرِفُ ، فَرَكَض هَارِباً .

فَفَكَّرْتُ... وَتَسَاءَلْتُ في نَفْسي: لَو الْتَقَى هَذَا الرَّجُلُ بِأَحَدٍ في الطَّرِيْقِ ، وَاسْتَنْجَدَ بِهِ عَلَيَّ ، مَاذَا تَكُونُ النَّتِيْجَةُ؟!

فَرَكِبْتُ فَرَسِيَ ، وتَبِعْتُهُ ، وَقَبَضْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، ثُمَّ شَهَرْتُ سَيْفي عَلَيْهِ ، أَرَدْتُ قَتْلَهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ شَاكِيَاً: يَا هَذَا! مَاذَا سَتَسْتَفِيْدُ مِنْ قَتْلي؟ وَمَاذَ جَنَيْتُ حَتَّى تَقْتُلَني؟!

لَقَدْ سَلَبْتَني جِمِيْعَ مَا أمْلِكُ ، وَأَخذْتَ حَتَّى مَلابِسِي ، فَأَرْجُوكَ دَعْنِي حَيَّاً ، فَعِنْدي

زَوْجَةٌ وَأَوْلادٌ صِغَارٌ... فَهَلا تَرَكْتَنِي لأَسْعى عَلَى رِزْقِهِمْ و ...؟!

...وَسَكَتَتِ الجَدَّةُ عَنِ الكَلامِ... ثُمَّ قَالَتْ: وَغداً سَأُكْمِلُ لَكُمُ الحِكَايَة ...!!

وَقَفَزَ (مُمْتَازٌ) وَ(أَسْعَدُ) وَ(سَوْسَنُ) وَ... وَقالُوا: لا ... نُرِيْدُ أَنْ نَعْرِفَ بَقِيَّةَ الحِكَايَةِ... نَـرْجُـوكِ يَـا جَـدَّتـي... فَـإِنْ كُنْـتِ تُحِبِّيْـنَ أَحْفَادَكِ ، وَأَوْلادكِ؛ فَلا تَتَوَقّفِي في مُنْتَصفِ الحِكَايَةِ !!

ابْتَسَمَتِ الجَدَّةُ ، وَتَابَعَتِ القَوْلَ :

وَلَكِنَّ التَّاجِرَ قَالَ: وَلَمْ أَهْتَمَّ لِكَلام ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وشَهَرْتُ سَيْفِيْ مِنْ جَديْدٍ لأَقْتُلَهُ ، فَالْتَفَتَ ذَاتَ اليَمِيْنِ ، فرَأَى حَجلَةً تَفِرُّ مِنْ مَكَانٍ قَرِيْبٍ ، فَصَاحَ بِهَا قَائِلاً: يَا حَجَلةُ!! اشْهَدِيْ لِيْ عِنْدَ اللهِ أَنِّي أُقْتَلُ مَظْلُوْماً!!

...وَمَرَّةً أُخْرَى ضَحِكَ التَّاجِرُ ثُمَّ قَالَ:

يَا سَيِّدِي الأَمِيْر! وَانْتَظَرْتُ حَتَّى اخْتَفَتِ الحَجَلَةُ وَرَاءِ كَوْمَةٍ مِنَ الأَحْجَارِ ، ثُمَّ هَوَيْتُ بِسَيْفِي على عُنُقِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَقَتَلْتُهُ.

... وَاحْمَرَّتْ عَيْنَا الأَمِيْرِ... وَانْتَفَخَت أَوْدَاجُهُ[1] ... وَبَان الغَضَبُ عَلَى وَجْهِهِ... ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى التَّاجِر وَسَأَلَهُ: أَهَذَا مَا يُضْحِكُكَ أَيُّهَا الأَحْمَقُ؟

قَالَ التَّاجِرُ: نَعَمْ يَا سَيِّدي! لَقَدْ ذكَّرَتْنِي هَذِهِ الحَجَلَةُ الَّتي قَدَّمْتُمُوهَا لِيْ بِحَمَاقَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي طَلَبَ مِنْ تِلْكَ الحَجَلَةِ أَنْ تَشْهَدَ ، وَهَذَا مَا أَضْحَكَنِي حَقّاً..!

---

(١) الوَدَج: عرقٌ في العُنق يَنتفخُ عندَ الغضب، وَهُوَ عِرقُ الأَخْدَعِ؛ الَّذي يَقْطَعُهُ الذَّابِحُ، فلا يَبقَى مَعَهُ حَياةٌ، وهما وَدَجَان، وَأَوْدَاجٌ.

...وَاسْتَدْعَى الأَمِيْرُ كَبِيْرَ قُضَاتِهِ... وَكَذَلِكَ حَرَسَهُ ، وَالْمَسْؤُولِيْنَ عَنِ الإِعْدَامَاتِ ، ونحوِ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ أَمَامَهُمْ:

لَقَدْ سَامَحْتُ التَّاجِرَ عَلى السَّرِقَةِ ، والسَّلْبِ ، أَمَّا القَتْلُ فَلا مُسَامَحَةَ فِيْهِ... ، وَلَقَدْ شَهِدَتْ عَلَيْكَ الحَجَلَةُ يَا هَذَا!

ثُمَّ أَمَرَ الأَمِيْرُ الْحَرَسَ ، فَاعْتَقَلُوا التَّاجِرَ ، وَسَاقُوْهُ إِلى حَبْلِ المِشْنَقَةِ ، وَكَانْ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ...

تَقَدَّمَتْ (مَيْسونُ) مِنْ جَدَّتِهَا... وَقَبَّلَتْهَا... وَشَكَرَ الأَحْفَادُ جَدَّتَهُمْ عَلَى تِلْكَ الحِكَايَةِ المُفِيْدَةِ ، بَيْنَمَا كَانَ (أبو حسين) يُرَتِّلُ قَوْلَ اللهِ تَعَالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

# عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ الأَدَبَ

وَبَعْدَ تَنَاوُلِ وَجْبَةِ العَشَاءِ... قَالَتِ الْجَدَّةُ لِلأَوْلَادِ: سَأَحْكِي لَكُمْ حِكَايَةَ مَا قَبْلَ النَّوْمِ ، لَكِنْ شَرِيْطَةَ أَنْ تَنْتَبِهُوا إِلَيَّ جَيِّداً ، لأَنَّ فِيْهَا مِنَ الفَوَائِدِ الشَّيْءَ الكَثِيْرَ.

وَبِالفِعْلِ ، تَحَلَّقَ الأَوْلادُ حَوْل الكُرْسِيِّ؛ الَّذِي تَجْلِسُ عَلَيْهِ الجَدَّةُ ، وَأَنْصَتُوا إِلَيْهَا؛ وَهِيَ تَقُوْلُ:

أَمَر(الحَجَّاجُ بْنُ يُوْسفَ الثَّقَفِيُّ) قَائِدَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ ، فَمَنْ رَآهُ بَعْدِ العِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرَب عُنُقَه.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ كَانَ قَائِدُ الحَرسِ يَطُوفُ في مَدِينَةِ بَغْدَادَ وَمَعَهُ الحَرَسُ؛ إِذَا بِهِمْ يَجِدُونَ ثَلاثَةَ فِتْيَانٍ يَتَمَأْيَلُونَ ، وَعَلَيهِم أَمَارَاتُ

السُّكْرِ ، فَأَمَرَ باعْتِقَالِهِمْ.

وَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ سَأَلَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ حتَّى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيْرِنَا (الحَجَّاجِ بْنِ يُوْسفَ) ؟!

وَكَيْفَ تَخْرجُونَ في مِثْلِ هَذَا الوَقْتِ المُتَأخِّرِ مِنَ اللَّيْلِ ؟

فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ
مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِيْهَا
تَأْتِيْهِ بِالرَّغْمِ؛ وَهِيَ صَاغِرَةٌ
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا!!

فَأَمْسَكَ عَنْه ، وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقْرِبَاءِ الأَمِيْرِ. ثُمَّ قَالَ لِلآخَرِ: وَأَنْتَ مَنْ تَكُوْنُ؟ فَقَالَ:

أَنَا ابْنٌ لِمَنْ لا تنزلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ
وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُوْدُ



obeikandl.com

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً إلى ضَوْءِ نَارِهِ
فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ!!

فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَقَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ العَرَبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلآخَرِ: وَأَنْتَ مَنْ تَكُوْنُ؟

فَأَنْشَدَ قَائِلاً:

أَنَا ابْنٌ لِمَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ
وَقَوَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامتِ
وَرِكَابَاهُ لا يَنْفَكُّ رِجْلاَهُ مِنْهُمَا
إِذَا الخَيْلُ في يَوْمِ الْكَرِيْهَةِ وَلَّتِ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَيْضَاً وَقَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ العَرَبِ ، ثُمَّ أَمَرَ جُنُوْدَهُ أَنْ يُكْرِمُوهُمْ حَتَّى الصَّبَاحِ لِيَنْظُرَ حَالَهُمْ.

فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ ، فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ سَأَلَهُمْ:

فَقَالَ الأَوَّلُ: أَنَا ابْنُ حَجَّامٍ!

وَقَالَ الثَّانِي: وَأَنَا ابْنُ فَوَّالٍ!

وَقَالَ الثَّالِثُ: وَأَنَا ابْنُ حَائِكٍ!

فَتَعَجَّبَ قَائِدُ الحَرَسِ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ الأَدَبَ، فَوَاللهِ لَوْلا فَصَاحَتُهُمْ؛ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُم....

## ستنامون عندنا الليلة !!

وَحَاولَ (أَبُو حَسَنٍ) أَنْ يَعُودَ مَعَ أَفرَادِ عَائِلَتِهِ إِلى البَيْتِ، لَكِنِ الجَدَّةُ أَصَرَّتْ عَلَى أَنْ يَبِيْتُوا في بَيْتِ أَخِيْهِ (أَبِي حُسَيْنٍ)... خَاصَّةً أَنَّ الأَوْلَادَ مَسْرُورِيْنَ مَعَ أَوْلادِ عَمِّهِمْ... وَكَانَ ذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ يَوْمَ الجُمعَةِ...

قَالَ (مُمْتَازٌ): نَبِيْتُ وَلَكِنْ بِشَرْطِ: أَنْ

تَحْكِي لَنَا جدَّتِي حِكَايَاتٍ أُخْرَى... ضَحِكَ الجَمِيْعُ... وَقَامَ الأوْلادُ إِلى غُرْفَةِ النَّوْمِ... بَيْنَما كَانَ الكِبَارُ يَتَنَاقَشُونَ في بَعْضِ القَضَايَا الَّتِي تَهُمُّهُمْ...

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

* * *



obeikandl.com